Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (5), Issue (9): 30 Jul 2021
P: 26 - 40

ISSN: 2522-3380

مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (5)، العدد (9): 30 يوليو 2021م
ص: 26 - 40

Dialectic Second language acquisition and optimal learning age

Muhammad Ismail Amayreh

Zayed University

Abstract: The issue of language education is one of the most delicate human issues. It is very relevant to the social and political history of society and is also one of the issues imposed by human reality. It is also one of the issues that has intensified the differences between linguists and psychologists in the ways of acquiring them.

Perhaps there are things that stand in front of the acquisition of the second language, language is not a neutral system or a tool to be used in a timely manner or in a generation and that's it, but is a language with its luster and heritage and attractiveness, what are the factors that stand in front of the acquisition of the second language? Is there a real conflict between languages affecting the acquisition of language in children? What are the most important stages of growth in children and their relation to linguistic development?

In fact, there is a difference between mother tongue, second language and foreign language, differentiating between these concepts will make it easier for us to reach the appropriate age to acquire the language. The reason is that the acquisition or learning of any language stems from the goals related to the life of the individual, whether professional, economic or social. The bilingual issue raises an important question: Are the two linguistic systems of the human brain separate or connected?

Keywords: language acquisition, foreign language, optimum age.

جدلية اكتساب اللغة الثانية والعمر الأمثل للتعلم

محمد إسماعيل عمايرة

جامعة زايد

المستخلص: إن مسألة تعليم اللغة من أدق المسائل الإنسانية، فهي شديدة الصلة بعقيدة المجتمع وتاريخه السياسي والاجتماعي، وهي كذلك من المسائل التي يفرضها الواقع البشري، كما أنها من القضايا التي اشتد الخلاف بين علماء اللغة وعلماء النفس في طرق اكتسابها. ولعل هناك أمورا تقف أمام اكتساب المرء للغة الثانية، فاللغة ليست نظاما محايدا أو أداة ينتفع بها في حينها أو في جيل معين وينتهي الأمر، بل هي لغة لها بريقها وتراثها وجاذبيتها. فالدراسة تهدف إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما العمر الأمثل لتعلم اللغة الثانية؟ كيف يتعامل دماغ الإنسان مع الأنظمة اللغوية؟ وما العوامل التي تقف أمام اكتساب اللغة الثانية؟ وهل هناك صراع حقيقي بين اللغات يؤثر في اكتساب اللغة عند الأطفال؟ وما أهم مراحل النمو عند الأطفال وعلاقتها بالتطور اللغوي؟ هل يوجد النظامان اللغويان في دماغ الإنسان منفصلين أم متصلين؟

والحقيقة أن هناك فرقا بين اللغة الأم واللغة الثانية واللغة الأجنبية، وعند التفريق بين هذه المفاهيم سيسهل علينا الوصول إلى السنّ المناسبة لاكتساب اللغة؛ والسبب في ذلك أن اكتساب أي لغة أو تعلمها نابع من أهداف تتعلق بحياة الفرد سواء أكانت مهنية أو اقتصادية أو اجتماعية...

الكلمات المفتاحية: اكتساب اللغة، اللغة الأجنبية، العمر المناسب.

المقدمة.

إنه لمن العسير الاحتكام إلى تجربة واحدة أو مدرسة واحدة في الإجابة عن السؤال المهم: ما السن المناسبة لتعلم لغة أخرى إضافة إلى اللغة الأم؟ إن مسألة اللغة من أدق المسائل الإنسانية، فهي شديدة الصلة بعقيدة المجتمع وتاريخه السياسي والاجتماعي، وهي كذلك من المسائل التي يفرضها الواقع البشري، كما أنها من القضايا التي اشتد الخلاف بين علماء اللغة وعلماء النفس في طرق اكتسابها وتعلمها.

من الأمور المؤكدة أن حاجة الإنسان إلى قدم راسخة في لغته الأم، حاجة أساسية يصل أثرها في بعض الأحيان إلى أنها مؤشر أساسي على إنسانية الكائن الحي وفقدان اللغة الأم للكائن البشري من دائرة المجتمع الإنساني، فاللغة الأولى دعامة لا يناظرها شيء في تكوين شخصية الإنسان وتفكيره وولائه ومشاعره.

ولكن الحاجة إلى لغة أخرى بجانب اللغة الأولى، تبرز نتيجة لعدد من الظروف المتنوعة العالمية، فبعض اللغات محددة في خبراتها العلمية نتيجة للدور الذي يلعبه أبناؤها في بناء الصرح العلمي العالمي، ولغات أخرى تعاني من القهر السياسي نتيجة اجتياح عسكري أو اقتصادي. والحاجة إلى تعلم لغة ثانية تبرز من الفرق الواضح بين عدد الأنظمة السياسية التي تسيطر على الكرة الأرضية وبين عدد اللغات البشرية التي يكتسبها الناس كلغات أولى. فعدد الأنظمة السياسية لا يتجاوز المئة والستين نظاما، بينما يزيد عدد اللغات (وليس اللهجات) على ثلاثة آلاف لغة.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تحاول هذه الدراسة أن تجيب عن الأسئلة الآتية: ما أهم الآراء التي طرحت في العمر المناسب لاكتساب اللغة؟ وما أهم العوائق التي تقف أمام تعلم اللغة الثانية من وجهة نظر رواد علم اللسانيات في العصر الحديث؟ كيف يؤثر النضج البيولوجي على عملية اكتساب اللغة؟ وغيرها من الأسئلة تحاول هذه الدراسة أن تجيب عنها، وأن تقدم أهم الآراء الحديثة في العمر المناسب لاكتساب اللغة، وبعض الدراسات الحديثة في ذلك وتحاول أيضا استجلاء رأي موضوعي وجيه يجيب عن تساؤلها... خاصة أن الإجابة عن تساؤل اكتساب اللغة باتت حاجة ملحة متزايدة الأهمية في عصر التواصل اللغوي واقتصاد المعرفة.

هدف الدراسة

هدفت هذه الدراسة الى التعرف على:

1. أهم الآراء التي طرحت في العمر المناسب لاكتساب اللغة.
2. العوائق التي تقف أمام تعلم اللغة الثانية من وجهة نظر رواد علم اللسانيات في العصر الحديث.
3. أثر النضج البيولوجي على عملية اكتساب اللغة.

أهمية الدراسة

- تكمن أهمية الدراسة في اثراء التراث الادبي بموضوع هام وضروري في العملية التعليمية من خلال الوقوف على أهم آراء علماء اللغة، والنظريات القديمة والحديثة في قضية اكتساب اللغة الثانية، والوصل إلى ترجيح ملائم في العمر الأنسب لتعلم اللغة الثانية.
- لفت انظار المسؤولين عن التعليم حول العمر المناسب لتعلم اللغة الثانية وبعض الحلول للعوائق التي تقف أمام اكتسابها.

2- منهجية الدراسة

وقد سارت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، فقد نوقشت الأسباب التي تقف عائقا أمام اكتساب اللغة الثانية، وأهم الآراء التي رجحت العمر الأمثل كي يتعلم الإنسان لغته الثانية، بالإضافة إلى ذلك وصفت الدراسة أهم مراحل النمو العقلي عند الأطفال وأثر ذلك في اكتساب اللغة، وغيرها من القضايا التي عالجها الكاتب بتحليلها والخروج ببعض النتائج.

3- الإطار النظري والدراسات السابقة

أفادت هذه الدراسة من مجموعة قيمة من المصادر الحديثة سواء العربية أو الأجنبية، منها: داود عبده، دراسات في علم اللغة النفسي، Bellos,D. is that the fish in your ear? Translation and the meaning of every thing، أيضا Cook,V. second language learning and language Teaching، آملا أن أفيد من هذه الدراسات بسبب، وأن تختلف دراستي عنها بأسباب.

وتعد البيئة التي يعيش فيها الإنسان أمرا مهما في قضية اكتساب اللغة بشكل عام سواء أكانت الأولى أم الثانية، فطريقة حديث الأبوين والأهل داخل البيت، والمدرسة، والأقران من نفس العمر... كلها عوامل تؤثر في اكتساب اللغة، ولا شك أن الأطفال في سن مبكرة محظوظون إن اكتسبوا لغة ثانية. والغريب في الأمر أنه لا يوجد نظام واضح للمعرفة في السنوات الأولى من عمر الطفل على العكس من ذلك فكلما تقدم العمر تطور النظام المعرفي للشخص، ولا بد من التمييز بين تعلم لغة لا تتكلم في البيئة المحيطة وهو ما يطلق عليه مصطلح اللغة الأجنبية، واللغة المستخدمة في البيئة المحيطة للمتعلم ويطلق عليها مصطلح اللغة الثانية. فلو فرضنا أن طالبا عربيا درس اللغة الفرنسية في درس اللغة الفرنسية في دولة عربية نُسمي ذلك لغة أجنبية، وأما إذا كان هذا الطالب نفسه يدرس اللغة الفرنسية في فرنسا فربما يتعلمها على أنها لغة ثانية، وفي الحالتين السابقتين تمارس عملية تعلم اللغة.

وأما اللغة الأولى (الأم) فهي اللغة التي يكتسبها الطفل من والديه عادة أو من البيت الذي يمضي فيه سنوات عمره المبكرة، وكان من الشائع أن هذه اللغة تنمو وتكتمل في حدود السنوات الأربع الأولى، وفصلت دراسات أخرى المراحل التي يمر بها الطفل حتى يكتسب اللغة، وتنوعت هذه المراحل بتنوع الخبرات المتراكمة من نمو المعرفة في حقولها المختلفة. وتظل دراسات Jean Peaget من أهم الدراسات التي تناولت مراحل نمو الطفل وعلاقة اللغة بهذه المراحل. وتأتي المراحل عند بياجيه على أربعة مراحل (عيسى، محمد رفقي: سيكولوجية اللغة والتنمية اللغوية لطفل الرياض): المرحلة الحسية، والمرحلة الحركية، ومرحلة ما قبل العمليات الفكرية، ومرحلة العمليات الفكرية، ومرحلة العمليات الفكرية الرمزية. ولغة الطفل تشكل بعدا أساسيا في رصد هذه المراحل عند الأطفال.

تمتاز المرحلة الأولى بأن الكلام يكون متمحورا حول الذات ويتمثل ذلك على شكل التكرار أو ترجيع أو مناجاة أحادية أو مناجاة ثنائية أو جمعية (غنيم، سيد: اللغة والفكر عند الطفل، 1971) أما المراحل الأخرى فمن أهم ملامحها توسيع دائرة اهتمام الطفل باللغة لتهدف إلى التكيف والتعامل مع المجتمع، وهذا التكيف يكون على شكل تبادل أخبار أو أوامر أو أسئلة أو إجابات. إن الحديث عن المراحل وخصائصها محط خلاف بين المدارس المختلفة بين تعديل أو إلغاء، لكن مما لا شك فيه ولا خلاف أن اللغة تظهر عند الطفل بالتدريج وفقا لنموه الطبيعي والبيئة التي يعيش فيها.

وتمثل قضية اكتساب اللغة الأم ركنا مهما في التفريق بين النظريات المختلفة في علم اللغة النفسي، فقد نظرت المدرسة السلوكية إلى اكتساب اللغة على أنه عادة من العادات الإنسانية، تنشأ من خلال المحاكاة Imitation والتكرار Repition والتدعيم أو التعزيز Reinforment(عبده، داود: دراسات في علم اللغة النفسي) ولعل النموذج

الذي قدمه سكنر لظاهرة النمو اللغوي عند البشر يقع على قمة المحاولات السلوكية لتفسير تلك الظاهرة، فيرى سكنر أن الطفل يستعمل نوعا من الكلام للتواصل مع الآخرين، سماها فئة التواصل Tact والنوع الآخر من الكلام يستعمله الطفل للتحكم في الأفراد والبيئة التي تحيط به وسماها فئة التحكيمMand .

ومما يزيد في تعقيد قضية اللغة الثانية، أن اللغة ليست نظاما محايدا أو أداة ينتفع بها في حينها أو في جيل معين وينتهي الأمر، بل هي لغة لها تراثها وبريقها وجاذبيتها، وكل هذا يساهم في تشكيل شخصية المتعلم الجديد الوافد إلى اللغة، وليس بخاف أثر اللغات الثانية، إنجليزية كانت أو فرنسية أو غيرها في تشكيل جزء أساسي من حياة المجتمعات التي كانت مستعمرات لتلكما اللغتين. ومن المعروف من عدد كبير من التجارب الإنسانية، أن اللغة الوافدة نافست اللغة الأم، بل وقهرتها وحلت محلها مخلفة وراءها ظواهر اجتماعية كالاغتراب الذي يعانيه الأمريكيون الأصليون (الهنود الحمر) والسكان الأستراليون الأصليون، وقد تتم العملية بهدوء، مارة بمراحل يعرفها المعنيون بعلوم اللغة الاجتماعية كظاهرة اللغة المشتركة Lingua Francaواللغة الهجين Pidgin واللغة المولدة Creole. (Robert Hall JR. Pidgin and creole language Ithoca,)

ومن جهة أخرى بعيدة عن قضية الصراع بين اللغات الذي لا يمتّ لقوانين التربية ومراحل نمو الطفل، فأحيانا تتم العملية بصورة قسرية جاءت نتيجة لنوع من السيطرة سواء العسكرية أو الاجتماعية أو الاقتصادية (المسدي، عبد السلام: دور التعريب في تطوير اللغة العربية، 1984)، ويمتاز العصر الحديث بأنه عصر التذويب والسيطرة، باستخدام اللين أو القوة، فعلى مر التاريخ لم نشهد مثل هذا التطور الإعلامي الهائل والقنوات ووسائل الإعلام المختلفة عددا وسرعة وتنوعا، وكل ذلك يساهم في تشكيل شخصية إنسان العصر الحديث.

ومما لا بد منه أن يكون هناك تخطيط في قضية التعامل مع اللغات الأجنبية حتى يتحقق النفع، وأما إن تُرك الأمر دون تدبير ففي الغالب ستكون النتائج سلبية وعلى رأسها (الانسلاخ والتنكر) ويبدو جليا في مظاهر عديدة تفشت للأسف في بعض مجتمعاتنا، كحب التظاهر بكل ما هو أجنبي، حتى غدا استخدام اللغة الأجنبية كتابة أو مشافهة سمة من سمات الحداثة والرقي في السلوك، ومن مظاهره إكبار الأجنبي في منتوجه الفكري عبر قداسة اللغة، ولا شك أن في أيامنا هذه قد تجاوز هذا المظهر قضية السلوك، بل صار عقيدة.

بين التعلم والاكتساب

يتسم التعلم بأنه أكثر وعيا لتراكم المعرفة بخصائص اللغة، كمعرفة النظام الصوتي أو البنائي (النحوي والصرفي) أو التركيبي للغة ما، ويمارس التعلم ضمن بيئة مؤسسية بإشراف معلم، وأما الاكتساب فيدل على التطور المتدرج للقدرة على اللغة باستعمالها في أشكال اتصالية طبيعية مع آخرين يجيدون استخدام النظام اللغوي ذاته. إن النشاطات اللغوية المتعلقة بالاكتساب هي تلك التي يمر بها الطفل ومن خلالها يأخذ اللغة الثانية، وتستعمل النشاطات المرتبطة بالتعلم تقليديا في تعليم اللغة في المدارس، وتوسم بأنها ناجحة إذا تم الوصول إلى معرفة أوسع (عن) اللغة أكثر من الوصول إلى الطلاقة في استخدامها، وغالبا ما يميل الأشخاص الذين يتعلمون اللغة الثانية عن طريق التعرض إلى عدم تطوير التمكن العام نفسه الذي يأتي من خلال تجربة تكون أكثر قربا إلى تجربة نوع الاكتساب.

مثبطات اكتساب اللغة

أولا: الظروف المحيطة

إن اختلاف تجارب الناس في تعلم اللغة الثانية أمر بدهي يعتمد على عدة أمور، فمن خلال مقارنة بسيطة نجد أن:

- من ناحية زمنية يقضي متعلم اللغة الثانية ساعات قليلة خلال أسبوعه في تعلم اللغة سواء أكان ذلك في المدرسة أو دراسة ذاتية، في المقابل يمر مكتسب اللغة بتفاعل مستمر من اللغة الثانية في طفولته.
- لا شك أن مشاغل الحياة تلعب دورا هاما في إيجاد وقت لتعلم اللغة سواء أكان هذا الوقت ذهني (صفاء ذهني) أو وقت فعلي (فسحة من الوقت) في المقابل لا ينشغل الأطفال الصغار بأشياء تؤثر في اكتسابهم اللغة.
- يلازم البالغين سنّا ارتباطهم من غير وعي ببنى لغتهم الأم من أصوات وتراكيب ونحو وصرف المستعملة في حياتهم اليومية، مما يقودهم إلى التشتت وعدم التركيز والانتباه والحاجة إلى التفريق بين النظام اللغوي القديم والجديد، الأمر الذي قد يخلق نوعا من الإحباط لدى البعض بأنه يسرف وقتا دون وجود نتيجة مشجعة، في المقابل لا نرى ذلك موجودا عند مكتسبي اللغة من الأطفال لأن الطفل يأخذ النظامين اللغويين (الأم والثانية) في الوقت نفسه وبعفوية.
- يتفوق بعض متعلمي اللغة في تحصيلهم اللغوي سواء على صعيد اللغة المنطوقة أو المكتوبة، وهناك أمثلة عديدة على مستوى الأدباء والنحاة والروائيين وغيرهم، إلا أن في أغلبهم يعانون من عدم اكتساب ما يسمى بـ (اللكنة) فتستطيع للوهلة الأولى من سماع المتحدث معرفة عدم كونه ابنا للغة.

ثانيا: المرحلة العمرية وتأثيرها في اكتساب اللغة

يميل بعض الباحثين إلى اتخاذ سن البلوغ الفيصل في قدرة الإنسان على اكتساب اللغة الثانية، فبعد بلوغ هذه السن يصير الأمر صعبا في قدرة الإنسان على الاكتساب، ولا سيما أن المرء قد استنفد خصائص اللغة الأولى لقدرته الموروثة للغة استنفادا قويا، الأمر الذي يؤدي إلى فقد الطواعية أو القدرة لأخذ خصائص لغة أخرى. لكن في المقابل نرى آراء مضادة تذهب إلى أن بعض التلاميذ في عمر العاشرة (بدايات البلوغ) لديهم القدرة في تعلم اللغة الثانية بصورة أسرع وأكثر تمكنا من بعض الأطفال الأصغر سنا، لذلك يعتقد بعضهم أنه من عمر عشر سنوات حتى ست عشرة سنة هو السن الملائم لتعلم لغة ثانية (Ellis,R. second language Acquisition.)، وتميل هذه الورقة البحثية إلى أن تعليل ذلك يعود إلى أن هذا العمر لم تصل فيه طواعيتنا الموروثة للغة إلى حد التوقف، أيضا يتحلى المرء في هذه المرحلة العمرية بنضج المهارات الإدراكية واستخدام تحليل أكثر كفاءة وقوة لخصائص اللغة الثانية.

ثالثا: الترجمة والتركيب النحوي

يطلق على هذه الطريقة الترجمة والنحو The grammar -translation method ويقال إنها الطريقة الأولى المستخدمة في تعلم اللغة اللاتينية الأولى (201) .6Bellos,D(is that the fish in your ear? Translation and the meaning of every thing. Faber and faber)، وتقوم هذه الطريقة بدرجة رئيسة على الحفظ باستخدام قوائم المفردات ومجموعات من القواعد النحوية لمعرفة الغاية من التعلم، أيضا تركز هذه الطريقة على اللغة المكتوبة على حساب اللغة المنطوقة. إلا أن المعارضين قد عارضوا بشدة هذه الطريقة مدعين أنها تقلل من الاستخدام الحياتي اليومي للغة المتعلمة، ولا شك أن هذه الطريقة مستخدمة في عالمنا العربي إلى حد كبير وآتت أكلها، لكن متعلم اللغة بهذه الطريقة يواجه مشكلة في استخدام اللغة المنطوقة بشكل سليم وبالكيفية التي يتكلم بها أهل اللغة الأصليين.

رابعا: الأسلوب السمعي والنطقي في التعليم

قبل حوالي سبعين سنة (في منتصف القرن المنصرم) صار التركيز على اللغة المنطوقة أكثر من المكتوبة في تعليم اللغة الثانية، بحيث تقدم بنى اللغة الجديدة للمتعلم من الأقل تعقيدا إلى الأكثر تعقيدا وعمقا وتكثف التدريبات على ذلك ظنا من متبعي هذه الطريقة أن اللغة تؤخذ بصورة أساسية من الممارسة، وأفضل أشكال تلك الممارسة هو استخدام اللغة المنطوقة، وسميت هذه الطريقة بـ (النطقية السمعية) (Lightbown, p. And N. spada (2013)how language are learned)

ويتم التركيز على التدريبات ولا سيما التدريبات الموجودة في مختبرات اللغة، لكن من وجهة نظر أخرى يمكن أن نطرح سؤال مفتوحا: هل ممارسة اللغة عن طريق التدرب يمثل محاكاة للتعلم بالطريقة التفاعلية المبنية على التواصل الحقيقي مع أبناء اللغة الأصليين؟ ألا يخلق ذلك نوعا من الملل عند متعلم اللغة الثانية؟

خامسا: مؤثرات نفسية

يلعب العامل النفسي دورا مهما في سرعة اكتساب اللغة أو الاستمرارية في تلقيها، أيضا يلعب العمر دورا مهما في ذلك، فلو فرضنا أن لدينا مجموعة من الصبية (بداية مراحلة البلوغ) أرادو أن يتعلموا لغة ما، وواجهوا بعض الصعوبة أو الاستغراب من طريقة نطق أصوات ما، في هذه الحالة قد يشعر بعضهم بنوع من الخجل أو التحرج في ذلك، وأحيانا ينعكس ذلك على سرعة انطلاقة المتعلم أو حتى رغبته في الاستمرار في التعلم، في المقابل نجد أن هذه الصفات النفسية (الخجل والحرج وغيرها) لا تكون موجودة بالقدر نفسه عند البالغين لأن القوة الإدراكية لدى الأطفال أضعف.

أيضا ينشأ نوع من رد الفعل عند متعلم اللغة الثانية ينعكس سلبا على العملية التعليمية، كالملل الحاصل في بعض الكتب، أو الأجواء الدراسية غير المريحة، أو العمل المضني...كل ذلك يقلل من الدافعية لدى المتعلم، من ناحية أخرى لو اتسم المتعلم بالثقة بالنفس أو عدم وجود القلق، أو تحلى بالنظرة الإيجابية فسوف يعزز ذلك من دافعيته ورغبته في الاستمرار. ولا شك أن الأطفال الصغار أقل عرضة للعوامل النفسية، والأبحاث التي درست قدرة وسرعة تغلب الأطفال على الخجل كثيرة. ففي إحدى التجارب قامت مجموعة تطوعية من البالغين بإنقاص مستويات وعيهم وإدراكهم وذلك بشرب كمية من الكحول، وقد تحسنت طريقة نطقهم لأصوات اللغة الثانية، لكن سرعان ما تدهورت بسبب زيادة كمية الكحول في الدم(Yule, George. (2014) The study of language) ، فقد يكون شرب الكحول حلا (كما في التجربة التطوعية) للتخلص من الخجل، لكن سرعان ما يعود الشعور به بعد انتهاء تأثير الكحول.

سادسا: ما يصب في لغة الاتصال

هناك اعتقاد سائد بأن تعليم التراكيب النحوية يؤدي إلى امتلاك القدرة على استخدام اللغة المتعلمة، ومع أن هناك أشكالا كثيرة مختلفة لكيفية خلق التجارب التواصلية عند متعلمي اللغة الثانية فهي تقوم كلها على الاعتقاد بضرورة تأكيد وظائف اللغة أو ما يسمى بالتعلم الوظيفي للغة بدلا من تعلم صور اللغة من نحو وصرف وصوت، فمن الأفضل أن يتعلم الطالب طريقة طلب الشيء والتركيز عليه أفضل من تعلم صيغ الفعل المضارع مثلا مجردة من رابط يربطها باللغة التواصلية. فيمكن أن توصف المراجعات الأحد لتجربة تعلم اللغة الثانية بالمقاربات الاتصالية.

سابعا: الطالب هو محور العملية التعليمية

لا شك أن العصر الحديث قد شهد تحولات في التركيز على أركان العملية التعليمية فبعد أن كان التركيز منصبا على المنهج المقرر، أو على المدرس، صار منصبا على المتعلم، فأصبح هذا الأخير هو المحور الرئيسي في العملية التعليمية. فعلى سبيل المثال عند وقوع الطالب بخطأ معين كان يعالج إما بالقمع أو التركيز على القضاء على هذا الخطأ، لكن حديثا ظهر مفهوم (التسامح) Yule, George. (2014)) The study of language, Cambridge university press (، ويقوم التسامح الذي ذكره يول Yule مع هذه الأخطاء المرتكبة على تحول جذري في المنظور للرأي الأكثر تقليدية عن الكيفية التي يحدث بها تعلم اللغة الثانية.

Yule, George. (2014) The study of language, Cambridge university press فلو أن متعلما للغة العربية كلغة ثانية قال هذه الجملة: "إن العالم يشهد كثيرا تطورات تكنولوجية" يجب النظر إليها على أنها جملة فيها خطأ، لكنه أمر طبيعي يتحسن مع تقدم المتعلم في اكتساب اللغة، لكن في الرؤية التقليدية عند بعضهم تمثل هذه الجملة خطأ يجب أن يعالج، فيعامل المتعلم وكأنه واقع في مشكلة، لذلك لا يمكن النظر إلى أن الخطأ على أنه مانع من تقدم الطالب، بل على النقيض تماما ربما يكون هذا الخطأ برهانا على أن المتعلم يسير في خط سير صحيح تتطور فيه ملكته اللغوية، فكما أن الأطفال يقعون في أخطاء عديدة أثناء اكتسابهم لغتهم الأولى ونفرح بذلك لأننا نشعر أن لغة الطفل تتطور وأنه يسير في المسار الصحيح، كذلك الحال يجب أن نعامل فيها متعلم اللغة الثانية.

ثامنا: الأخطاء اللغوية

لا شك أن اللغة التي يستخدمها متعلمو اللغة الثانية فيها العديد من الأخطاء والمشاكل اللغوية – وهذا أمر طبيعي- فهناك نظام بيني في عملية تعلم اللغة الثانية، وهذا النظام هو هجين؛ أي يكوّن المتعلم جملا فيها ملامح من نظام لغته الأم وأخرى من نظام اللغة الثانية، فقد يقول متكلم اللغة الهندية (كلغة أم) هذه الجملة بالعربية (وهي اللغة المتعلمة): (أنا يحكي أنت بكرة) ويقصد فيها : أنا سأحكي معك بكرة، فتعبيره غير صحيح في اللغة العربية ولو ترجمت الجملة ذاتها إلى اللغة الهندية كما قالها فلن تكون صحيحة أيضا، فهذه الجملة الناتجة هي خليط من اللغتين العربية والهندية. ويسمى هذا النظام Interlanguage (Cook,V.2010) second language learning and (language Teaching) ويعده بعضهم أنه النظام الأساس في اكتساب اللغة الثانية.) Cook,V.) 2010 second (language learning and language Teaching)

ويصل بعض المتعلمين إلى مرحلة الجمود، وهي المرحلة التي يمتلك فيها المتعلم كثيرا من التعبيرات في اللغة الهدف تتضمن عددا كبيرا من الصيغ التي لا تتماشى معها، ويبدو أن عملية الجمود هذه هي القاعدة الأكثر ترجيحا لما يطلق عليه لكنة أجنبية، والتداخل اللغوي أمر طبيعي في تعلم اللغة الثانية، لكنه إن وصل إلى مرحلة الجمود فستؤثر على القدرة التواصلية للشخص، ولا يزال اكتشاف ما يعد ظرفا مناسبا لتعلم لغة ثانية مجالا جيدا للبحث.

تاسعا: الدافعية

مع ازدياد وتيرة الحياة وصخبها، والنمو الاقتصادي وسهولة طرق الاتصال والمواصلات، وتغير أنماط الحياة، وظهور أعمال وتخصصات جديد مستحدثة... زاد الطلب على تعلم اللغات كوسيلة مهمة للغاية في إنجاز المصالح، فعلى سبيل المثال: صار تعلم اللغة الإنجليزية أمرا في غاية الأهمية، وأحيانا يوازي أهمية إتقان اللغة الأم، وأحيانا أخرى يكون أكثر أهمية. أيضا صرنا نلحظ ازدياد عدد الأشخاص والشركات التي تأتي إلى العالم العربي لتعلم اللغة العربية، وأيا كان الهدف سواء أكان اقتصاديا أو سياسيا أو لإكمال متطلبات التخرج... فإن عملية التعلم هذه تتصف بوجود الدافعية. والحقيقة أن وجود الدافعية أمر في غاية الأهمية في تحقيق سرعة إنجاز تعلم اللغة وإتقانها.

لكن من الملاحظ أن قليلا من المتعلمين تكون دافعيتهم لأغراض اجتماعية، وإن كان ذلك كذلك، فهو غالبا يكون مؤقتا وينتهي في حين الانتهاء من الدراسة في بلد اللغة الثانية.

ويمكن ملاحظة أن الأشخاص الذين يتفوقون في تعلم اللغة الثانية عادة ما يملكون دافعية أكبر من غيرهم، إذ ربما تكون الدافعية نتيجة للنجاح بقدر ما تكون سببا فيه، وغالبا ما تمتاز البرامج التي توفر لطلبتها الدعم والاهتمام والتشجيع لتحفيز الطلبة على استخدام ما لديهم من مفردات وتراكيب وقدرات لغوية بنجاح أكبر من تلك البرامج التي تقوم على ترصد الأخطاء وتصحيحها وإبداء ملاحظات الضعف والقصور عند المتعلم.

عاشرا: الدارس المُدار بغاية

من الأمور المهمة التي يجب الانتباه إليها هي قضية التفاعل، فبات إيجاد مهارات تفاعلية بين الطلاب أمرا مهما لتحسن القدرة على التواصل، وتسريع العملية التعليمية، والخروج بنتائج تمثل حافزا للطلبة لمزيد من التقدم، ويمكن أن يكون ذلك في مجموعات مكونة من طالبين كي يتبادلا المعلومات أو يحلا مشاكل معينة، ويقوم الافتراض في استخدام مهمات نحو: (تحدث عن مشاهداتك في طريقك من البيت إلى الجامعة أو المعهد) ويمكن لرفيقه أن يرسم ذلك الطريق، أو (ناقش مع زميلك حل مشكلة عبور النهر في رحلتنا القادمة) وسيلاحظ التحسن اللغوي ولا سيما الطلاقة اللغوية، وهذا النوع من الأنشطة (التعلم المرتبط بغاية) Task- based learning تزايد انتشاره في الآونة الأخيرة، وليست الغاية من هذا النشاط أن الدارسين سوف يعرفون معلومات كثيرة عن اللغة الثانية فحسب، بل سوف تتطور كفاءتهم اللغوية. لكن مما يخشى عليه من استخدام هذه الطريقة هو أن يأخذ الدارسون أخطاء بعضهم البعض.

الحادي عشر: المدخلات والمخرجات

من المؤكد أنه يمكن للسلوك المألوف للأطفال والبالغين في بيئة البيت التي تتمثل في تقديم أمثلة من اللغة، أو دَخْل، أن يساعد الرضع من بني البشر على اكتساب اللغة. ولا يبدو أن الكبار في محيط الطفل، كالأب والأم والجدين، يعاملون المخلوق الصغير الموجود أمامهم كأنهم يشاركون في محادثة عادية بين شخصين بالغين. إذ لا يوجد في حديث الأطفال (الصغار عمرا) عبارات مثل: هل سنأكل الطعام في مطعم يقدم الأغذية العضوية؟ وكلها عبارات تناسب الكبار عمرا، إلا أنه يبدو في الكلام إلى الأطفال أن هناك كثيرا من العبارات التالية: حسنا، ممتاز، بابا الآن سنأكل الطعام، وهي عبارات عربية مجزوءة.

ويرتبط هذا النوع من الكلام بما يسمى (كلام الأطفال) الذي يتميز بالبساطة ويستخدمه الذين يقضون وقتا طويلا في رعايتهم. وتتمثل خصائص البساطة فيه إما بكلمات مبسطة، نحو: ماما، ممتاز... أو صيغ بديلة مع أصوات أو مقاطع بسيطة فيه إما مكررة في الدلالة على أشياء في بيئة الطفل، نحو: (بي، بوو، هس...) ويتصف هذا النوع من الكلام باحتوائه على استخدام جمل الاستفهام كثيرا، ويكون ذلك باستخدام نغمة مبالغ فيها غالبا، وصوت أعلى وسرعة أبطأ وفترات توقف أطول. ويسمى هذا النوع من الكلام أحيانا بكلام الأمهات، أو الكلام الموجه إلى الأطفال.

ويستخدم مصطلح (الدَّخْل)

(Second Language Learning Theories)2017 (Mitchell, R. f. Myles and E.) -المشار إليه في الفقرتين السابقتين- في وصف سمات اللغة المتعلمة، وحتى تتحقق الفائدة من المُدخل لا بدّ من أن يكون مفهوما، ومن الطرق الرئيسة في جعل المدخل مفهوما هي تسهيل البنية والمفردات، مثل الكلام المستخدم في التعامل مع الأجانب، مثلا: لو سأل شخص عربي طالبا أجنبيا هذا السؤال (أتسير أمورك الدراسية في تعلم اللغة العربية على قدم وساق؟) غالبا لن يفهم المستمع الأجنبي - ولا سيما في المستويات المبتدئة- هذا السؤال، والسبب أن المفردات فيها صعوبة، ودلالة

(قدم وساق) أيضا تحتاج إلى مراس ودراية، أيضا البنية هي أعمق من استخدام بنى أخرى، ولو كان السؤال المطروح (اللغة العربية هل هي سهلة؟) فسنتوقع إجابة. والحقيقة أن هذا الكلام (كلام الأجانب) Foreigner talk يحقق فائدة كبيرة في سرعة التواصل وإيصال المعنى.

وهناك مصطلح المُدخل (المتفاوض عليه) Negotiated input وهو مادة اللغة الثانية التي يتعلمها الطالب بالتفاعل مع حالات الطلب مع التركيز على ما يقال، ولنأخذ هذا المثال، وهو حوار افتراضي بين شخص عربي (لغته الأم عربية) وشخص إسباني متعلم للعربية (كلغة ثانية):

العربي: تبدو هذه السَّلَّة مثل الأسطوانة.

الإسباني: ما الأسطوانة؟

العربي: شكل عمودي له دائرة في كل طرف.

الإسباني: علبة؟

العربي: تقريبا مثل العلبة.

الإسباني: فقط دائرة؟

العربي: نعم، لكن دائرة من كل اتجاه.

الإسباني: دائرة من كل اتجاه.

العربي: نعم.

الإسباني: مثل زجاجة المشروبات الغازية؟

العربي: نعم تقريبا تبدو كذلك.

فمن خلال هذه المحادثة نشعر بالتفاعل بين المدخل (سماع اللغة) والمخرج (تكلم اللغة الثانية)، وبهذا التفاعل تتطور لغة المتعلم وقدراته. لكن ما يؤخذ على هذه الطريقة هو صعوبة تطبيقها على المجموعات الكبيرة، لأنها تحتاج إلى وقت كبير مما يولد نوعا من الملل لدى بقية المتعلمين.

الثاني عشر: القدرة التواصلية

ويمكن تعريفها بأنها الدقة التي يستطيع المتعلم التواصل بها وإيصال معلومة صحيحة، لذلك تعد الكفاءة النحوية ذات أهمية ومكونا أساسيا في العملية التواصلية من استخدام الكلمات والبنى، لكن القدرة النحوية وحدها لا تكفي، إذ لا يستطيع دارس النحو وحده فهم التأويلات والتعبيرات في اللغة الثانية بشكل دقيق. وللأسف يعد التركيز على تعلم النحو من الأمور الشائعة والأكثر وجودا في عالمنا العربي، طبعا على حساب المهارات الأخرى، لذلك يتخرج كثير من الطلبة الأجانب بمستوى جيد في النحو وصياغة التراكيب، لكنهم يعانون من ضعف كبير في التواصل ولا سيما التواصل الشفوي.

وأما المكون الثاني فيمكن تسميته الكفاءة الاجتماعية أو اللباقة في الكلام، هذه النقطة ذات أهمية كبيرة خصوصا أن الثقافات متنوعة، ودلالات العبارات مختلفة، مثلا: لو قال المتعلم هذه العبارة (أعطني القلم) في المقابل قال متعلم آخر (من فضلك هل أستطيع أن آخذ القلم؟) نلاحظ أن هناك فرقا في الدلالة بين استخدام فعل الأمر (أعطني) واستخدام عبارات اللباقة مثل (من فضلك) فعلى المتعلم أن يعرف مدى وقع المفردات في نفس المتلقي، أيضا استخدام عبارة: (أنت كاذب) تقابلها: (عفوا، كلامك ليس صحيحا) والأمثلة تطول في ذلك.

ويمكن تسمية المكون الثالث بالكفاءة التخطيطية، تأمل المثال الآتي: لو أن شخصا روسيا أراد أن يسمي (لِجام الحصان) لمتحدث باللغة العربية باستخدام اللغة العربية، فاستخدم -وهو لا يعرف المسمى بالعربية- عبارات

مثل: الشيء الذي يوضع على رأس الحصان، ونمسك به، وهو من الجلد... نلاحظ من خلال المثال السابق أن المتحدث أجاد استخدام ما يسمى بالكفاءة التخطيطية، فبعد أن عجز عن ذكر كلمة (لجام) اتجه إلى خطة بديلة وهي التعبير باستخدام مفردات وجمل قصيرة للدلالة على ما يريد. وهذا الاستخدام المطواع للغة الثانية أمر مهم في النجاح التواصلي، فالكفاءة التخطيطية بمعنى أدق، هي القدرة على التغلب على المشكلات التواصلية المحتملة في التفاعل.

فالمصاعب التي يواجهها متعلمو اللغة الثانية كثيرة وهذا أمر طبيعي خصوصا في التواصل الشفوي، وتزداد المشاكل عندما تظهر فجوة بين القصد التواصلي والقدرة على التعبير عن ذلك القصد، وأحيانا ما يتوقف المتعلم عن الكلام لعدم قدرته على التعبير وربما بسبب شعوره بالخجل، وهنا لا بد من التخطيط واستحضار قاموس المفردات الموجود في ذهنه لتقريب الصورة إلى ذهن المتلقي.

اكتساب اللغة والنضج البيولوجي

ليس جديدا موضوع الربط بين القدرة على الحديث والنضج البيولوجي مع توافر البيئة الاجتماعية البشرية. وهناك أمثلة مشهورة لأولئك الأطفال الذين اضطرتهم ظروف غير عادية للعيش خارج الوسط الإنساني. ووصل عدد الحالات المدروسة إلى ما يزيد على ثلاثين حالة. اشتركت في ظاهرة أساسية وهي أن الجهود التي بذلت لتعليمها لغات بشرية لم تفلح ولم يصل أي منهم إلى مستوى للاكتساب الطبيعي للغة. (نوري، جعفر: الفكر طبيعته وتطوره)

لكن هذه الحالات لا تخدم البحث العلمي الدقيق خاصة أن معظمها عانى من إشكالات صحية قد يعزى إليها ذلك الخلل اللغوي، وبقي الأمر للتخمين والاستنتاج المنطقي أكثر منه عملا علميا، حتى جاء العالم اللغوي البيولوجي Lenneberg الذي سعى بطرق علمية تشريحية إلى إثبات أن اللغة ظاهرة بيولوجية لها مركزها من الدماغ البشري بشكل متميز عن بقية الحيوانات.

وكانت من أهم نتائج دراسته نظريته المشهورة القائلة بأن هناك مرحلة زمنية من حياة الإنسان تسمى بالمرحلة الحرجة The critical Period وهي تمتد من السن الثانية إلى سن البلوغ (Lenneberg, Eric, Biological Foundation of language) وهي المدة الزمنية التي يمكن أن تكتسب فيها اللغة بصورة طبيعية، وقبل سن الثانية لا يمكن أن تكتسب اللغة لأن الدماغ لم يصل إلى درجة من النضج تسمى بالاكتساب، وأما بعد سن البلوغ فتكون الفرصة قد فاتت في النصف المختص من الدماغ باكتساب اللغة وذلك نتيجة فقدان القشرة الدماغية لمرونتها المطلوبة لإنجاز الاكتساب الطبيعي.

أوضح Lenneberg أن المسألة لا تتعلق بحجم الدماغ البشري، وإنما لب الأمر في تركيب الدماغ البشري. استمد هذا العالم أدلته على صحة نظريته من مصادر أساسية أولها: أن الطفل الأعمى يتعلم اللغة كالطفل المبصر والطفل الأصم يمكن أن يتعلم اللغة عن طريق الكتابة (وإن لم يكن الخلل وراثيا) وحتى الأطفال الذين يعانون من بله يتعلمون اللغة إذا توفرت لهم الظروف المناسبة في سن البلوغ.

وثانيهما: حالات الدماغ قبل سن البلوغ وبعدها فإن الدماغ ينمو نموا ملحوظا حتى سن البلوغ، أما بعدها فيتوقف عن النمو. ومن المعروف أن الخلايا التالفة في جسم الإنسان تعوض بغيرها إلا خلايا الدماغ فإنها ترافق فترة نمو الدماغ. وتقلص في مرونته، ويزداد هذا التقلص حتى يكتمل مع سن البلوغ. فالإصابة في هذه السن عند الأطفال تقود إلى أن تقوم منطقة أخرى بوظائف المنطقة المصابة، أما بعد سن البلوغ، فنادرا ما يحدث هذا.

وثالثهما: تخصص أحد نصفي الدماغ بالكلام، وغالبا ما يكون للنصف الأيسر. ورغم ما تعرضت له هذه النظرية من بعض المعارضات، فهي تبقى واحدة من أهم النظريات التي عاضدت النظرية التحويلية التي تؤكد أن

اكتساب اللغة يكون من خلال جهاز متخصص بذلك (Language acquision device (LADوهذا الجهاز كما وصفه تشومسكي Chomskyذو قدرة وقابلية متميزة في اكتساب اللغة. ولد هذا اللقاء بين النظريتين، واحد من أهم خصائص عالمية اللغة Universals of Language وهي عالمية اكتساب اللغة Universals of Language acquision المتمثلة في قدرة أي طفل على اكتساب أي نظام لغوي يعايشه معايشة طبيعية قبل سن البلوغ. (Ovando, carlos and Virginia collier, Bilingual and EST classrooms.)

الثنائية اللغوية Bilingualism

تعددت دلالات الثنائية اللغوية، فمن الكتاب من استعملها لتشمل الإلمام بنظام لغوي آخر بالإضافة إلى اللغة الأم، ومن الواضح أن هذا الفهم لا يفرق بين ثنائية اللغة واللغة الأجنبية، وأما الذين يفرقون بين هذين المفهومين فيحصرون دلالة ثنائية اللغة في كفاءة تلك الفئة من الناس في إتقان نظامين لغويين وامتلاكهما الطلاقة اللغوية فيهما. ينشأ هذا النوع من كون ثنائية اللغة ثمرة لإحدى الطريقتين. الأولى: تسمى الثنائية اللغوية المشتركة Compound Bilingualism وهي التي تنتج عندما يكتسب الطفل النظامين اللغويين من أبوين يتكلمان اللغتين في البيت. أما النوع الثاني فهو الذي يدعى بالثنائي اللغوي المتعاون Coordinate Bilingualism وهو الذي ينشأ عندما يكتسب الشخص نظامين مختلفين وظروفا مختلفة، كهجرة طفل في سن السادسة مثلا من المكسيك إلى فرنسا.

إن قضية ثنائية اللغة تثير سؤالا هو: هل يوجد النظامان اللغويان في دماغ الإنسان منفصلين Independentأم متصلين Interdependent؟ لا يسهل القبول برأي دون رأي الطرف الآخر، خاصة أن الأمر يتعلق بالدماغ البشري الذي لا تتاح فرص التجريب عليه إلا من خلال حوادث هنا وهناك. لكن الأمر الثابت هو أن الثنائية اللغوية لا تتم إلا في حدود زمنية معينة آخرها سن البلوغ.

ما السن الملائمة لتعلم اللغة الأجنبية؟

اللغة الأجنبية: هي اللغة التي يتعلمها الطالب تعلما رسميا على أنها إحدى موضوعات المناهج المدرسة. وتختلف السن التي تقدم فيها اللغة الأجنبية باختلاف المجتمعات والفلسفات التربوية والظروف السياسية. وللإجابة عن السؤال: ما السن المناسبة لتعلم اللغة الأجنبية لا بد من تأكيد أن اتقان النظام الصوتي للغة ما، لا يكفي للحكم بأن الشخص يتقن تلك اللغة. فإتقان لغة ما يعني إتقان عدد من الأنظمة، منها الصوتي ويعني درجة عالية من المرونة في استعمال حصيلة عالية من مفردات اللغة المطلوبة من خلال أنظمتها وثقافتها المتضمنة في تلك الأنظمة.

الأمر الآخر الذي يجب أن يبقى موطن اهتمام، هو السؤال عن الهدف من تعلم اللغة الثانية. فاللغات في النهاية تتفاوت في يسرها وعسرها على المتعلمين، ليس وفقا لخصائص في اللغات ذاتها، بل لأن الدوافع والأهداف تتفاوت. ولا أظن أحدا لخص الأمر بكلمات أبلغ من كلمات الجاحظ عندما كتب: "واللغات إنما تشتد وتعسر على المتكلم بها، على قدر جهله بأماكنها التي وضعت فيها وعلى قدر كثرة العدد وقلته وعلى قدر مخارجها وخفتها وسلامتها وثقلها وتعقدها في أنفسها" ثم أضاف المحور الأساس ذا العلاقة بالأهداف والدوافع عندما قال: "والجملة أن من أعون الأسباب على تعلم اللغة فرط الحاجة إلى ذلك. وعلى قدر الضرورة إليها في المعاملة يكون البلوغ فيها والتقصير عنها" (الجاحظ، عمرو بن بحر: كتاب الحيوان).

يقدم البحث العلمي إجابتين متناقضتين عن السن المناسبة لتعلم اللغة الأجنبية. إحدى الإجابتين تنسجم والتصور الشائع بأن تعلم اللغة الأجنبية في سن مبكرة هو العامل الأساسي في نجاح التعلم. وتضيف بعض الدراسات أن النجاح ليس مقصورا على إتقان النظام الصوتي بما فيه النبر، ولكنه يشمل النظام النحوي كذلك (Nsher,

Learning Another Language through Action). لكن الدراسات الأخرى التي تدعم الرأي الآخر، القائل بأن الإنسان قادر على تعلم اللغة الأجنبية وإتقانها في سن ما بعد الطفولة، تملك منطقا وخبرات علمية تستحق اهتماما كبيرا.

يرى هؤلاء أن السر في نجاح الطفل في تعلم اللغة الثانية لا يكمن في عنصر العمر أولا، بل في عدد آخر أهم من عنصر العمر. إن الطفل يتقن اللغة الثانية لأنه يمضي آلاف الساعات في الممارسة من خلال المجتمع ثنائي اللغة، أو وضع الأبوين الثنائي. وأما الكبير الذي يمضي ما يقارب ثلاثمئة ساعة في محاولة للتعلم المدرس بطريقة بائسة – غالبا- على مدى سنتين، فغالبا ما يحيل الفشل إلى تعلمه اللغة الأجنبية في سن متأخرة.

يضع مكنمارا Macnamara المسألة في إطار تقابلي طريف عندما يرى أن الكبار أفضل من الصغار في تعلم اللغات إذا ما توفر لهم الجو النموذجي. قال: "لنقارن رجلا في الأربعين من عمره بطفل صغير. لا نستطيع أن نزعم أن الرجل أقل مهارة في تعلم اللغة الأجنبية من الطفل إلا بعد أن نعطي الطرفين فرصا مماثلة. لذا نحتاج إلى أن ن Nsher, Learning Another Language through Action, losGatos رفع عن الرجل أعباء عمله، وأن نوفر له امرأة تهبه معظم وقتها وطاقتها لتعينه في تعلم اللغة بعدها نقارن بين الطرفين" (Macnamara, J The Bilingual performance Issues, 1969).

إن السن المناسبة لتعلم اللغة الأجنبية من وجهة نظر الطفل هي السن المبكرة، وأما من وجهة نظر المعلم فهناك أسباب متنوعة تدفعه لتفضيل السن المتأخرة (Diller, K. Teaching Language controverse, Rowley: Newbury House). وتدعم بعض الدراسات هذه الوجهة عندما تذكر أن 20% من الذكاء يتطور مع السنة الأولى، وأن 50% مع السنة الرابعة، و80% مع السنة الثامنة، و92% مع سن الثالثة عشرة. وأما القدرات العقلية فيذكر بلوم Bloom أن ابن السابعة عشرة يمتلك خمسة أضعاف ابن السنة الواحدة. (Bloom, b. Stability and change in human characteristics,)

ويقيس Diller موضوع تعلم اللغة بتعلم السباحة، تبدأ مدرسة بتعليم السباحة للأطفال عند وصولهم الشهر الثامن بمعدل درس من ثلاثين دقيقة كل يوم، وحتى يتعلم هذا الرضيع العوم وتحريك الذراعين يحتاج إلى مئة ساعة تعلم، بينما يحتاج ابن السنة الثانية إلى نصف ذلك العدد، أما ابن السنة السابعة فهو أسهلهم تعلما؛ لأنه يستوعب التعليمات وله خبرة في الانتظام والتعليل والربط. ويخلص Diller إلى أن السن النموذجية لتعلم الأجنبية هي سن البالغ الذي يملك دوافع جيدة، وإن توفر له المدرس الجيد فسيكون خير متعلم للغة الأجنبية باستثناء جانب الأصوات.

اللغة الأجنبية والعربية:

من الواضح أن التفريق بين أحادي اللغة وثنائي اللغة وأجنبي اللغة، يساهم إلى حد كبير في تيسير الإجابة، فاللغة الأم تكتسب في سن معينة. وبالنسبة لطفلنا العربي ونتيجة لعوامل متنوعة، فإنه يستثمر قدرا كبيرا من طاقته الذهنية في اكتساب لهجته الأم التي تختلف عن العربية الفصيحة بنسب متفاوتة يحددها الموقع اللغوي والفكري للباحث في القضية والبيئة اللغوية المدروسة. إن الواقع المزدوج هذا يؤرق الثقافة العربية المعاصرة، ويشكل منفذا نفسيا واجتماعيا وسياسيا، ما زال قابلا لمعاودة استعماله والتنغيص به على الأمة.

وتسخير المراحل المبكرة من حياة الطفل ليتمكن من النظام العربي الفصيح، ينسجم مع طبيعة المرحلة وأهدافها، وينسجم مع بقية المراحل التالية، هذا مع العلم أن اللغة الأجنبية مهما تضلع بها الفرد والجماعات، عاجزة عن النفاذ إلى أعماق الشعور الوجداني، ولذلك فهي لباس خارجي يرتدى اصطناعا أحيانا واعتباطا أحيانا

أخرى، ثم لا يلبث أن يلابس صاحبه، حتى يحل محل الجلدة الحساسة في جسم الإنسان فلا يتلاءم مع الأعضاء ولا هو يترك اللسان الأم يؤدي وظيفته في حمل الشعور والحس.

إن عبء العامية يتضافر مع اللغة الأجنبية ليضع الناشئ في مواجهة عقبات تربوية عديدة تعزى إلى أنه ينتقل بين مستويات لغوية ثلاثة: اللغة الدارجة واللغة الفصحى ثم اللغة الأجنبية، وهكذا يتحول خطر الازدواجية إلى خطر الثنائية فيعجز الناشئ بذلك عن حذق العربية. ويعد ذلك من أكثر المشاكل خطورة على مصير العربية، فنحن نكلف الأبناء مشقة كبيرة في استيعاب لغة ثانية... زيادة على التعب الذي يلاقونه في تعلم لغتهم القومية لبعدها عن لغة التخاطب اليومي في المنزل والشارع.

وتكرار السؤال من سيد حامد حريز حول السبب في أن 49% من أساتذة جامعة (عربية) لا يجيدون اللغة العربية وهي لغتهم الأولى واللغة القومية للبلاد. قد يؤدي إلى الإشارة إلى أن اللغات الأخرى تنمو على حساب اللغة الأم، وهذا التخلف المأساوي لا نجده على مستوى حرفة يدوية، بل على مستوى الجامعة وتكوين القيادات الاجتماعية (حريز، سيد حامد: تطوير اللغة العربية، الخرطوم، اتحاد المعلمين العرب.).

يجب أن يلقى البعد الاقتصادي اهتماما واضحا، خاصة في دول العالم الثالث، إن عددا محدودا هو الذي يصل إلى مرحلة الانتفاع باللغة الأجنبية الإلزامية إنها الفئة التي تحتاج إلى معرفة اللغة الأجنبية. والتساؤل الذي يحتاج إلى تدبر وإجابة علمية: هل من المصلحة العربية العلمية والاقتصادية أن نسوق الطلاب جميعا إلى تعلم اللغة الأجنبية أم أن هناك أساليب أخرى لتحقيق الانفتاح الثقافي؟ هذا مع العلم أن تعلم أي لغة وإتقانها ينتهي إلى درجة الضياع ما لم توفر للمتعلم ظروف الاستمرار.

ومن باب الاستشهاد بالأرقام، فقد أجريت دراسة في سنة 2011 (الإبراهيمي، محمد: اللغة الثانية في مرحلة رياض الأطفال، المجلة العلمية لكلية رياض الأطفال، 2011)، وجزء من هذه الدراسة كان ميدانيا عن تعليم اللغة الثانية (الإنجليزية) للأطفال في مصر. وقد وجد الباحث أن حوالي 68% من الآباء يعتقدون أن السن المناسبة لتعلم اللغة الإنجليزية هي عمر رياض الأطفال، ونسبة 20% يرون أن الصف الأول الابتدائي هو السن المناسب، ونسبة 12% يذهبون إلى أن الصف السادس هو العمر الأمثل لتعلم اللغة الإنجليزية كلغة ثانية، ونسبة كبيرة من الآباء حوالي 80% اعتقدت أن تعلم اللغة الإنجليزية قبل الصف السادس ليس له تأثير سلبي، بل على العكس تأثيره إيجابي في سرعة اكتساب اللغة.

وفي الدراسة ذاتها التي أجريت على إحدى رياض الأطفال التي تعلم اللغتين العربية والإنجليزية، وجد الباحث أن اللغة الثانية المكتسبة قد تكون أقوى من الأولى، فكانت اللغة الإنجليزية أقوى من العربية لدى عمر خمس سنوات ولا سيما في القراءة والكتابة، فنسبة 38% من الأطفال يستخدمون اللغة الإنجليزية، و22% منهم يخلطون بين العربية والإنجليزية في الحديث، وحوالي36% منهم لا يستطيعون الكتابة بالعربية، وما نسبته 64% منهم يستطيعون الكتابة بالعربية لكن بوجود بطء، أو أخطاء كثيرة، أو صعوبة في التعبير. ويعزى ذلك إلى أسباب تؤثر في نجاح اللغة الثانية، مثل: الاستعداد العقلي، النضج العقلي، دور الأهل والمدرسين، لغة التواصل داخل الصف وخارجه، طبيعة المنهج، وطرق التدريس...

4- خلاصة بأهم النتائج

1- لا شك أن هناك تعددا في النظريات التي درست قضية تعليم الأطفال أكثر من لغة ولا سيما في مرحلة الطفولة المبكرة، وكل من هذه المدارس النظرية تحاول أن تفند ما تقوله الأخرى، وفي تسعينات القرن العشرين يرى أصحاب النظرية الاجتماعية الثقافية أن المحيط الاجتماعي هو الأهم في عملية اكتساب اللغة الثانية، بينما

يذهب مؤيدو النظرية الاجتماعية إلى التطور اللغوية يرتبط ارتباطا وثيقا بالتفاعل الحاصل بين الأطفال والكبار، من خلال نمذجة استخدام اللغة، وتقديم الصورة الصحيحة في صياغة التراكيب. ويمكن هنا طرح السؤالين التاليين: ما مدى مساهمة تعليم الطفل أكثر من لغة في تنمية المهارات اللغوية؟ وما علاقة ذلك بالكيفية التي يحدث فيها التطور اللغوي في عقل الطفل؟

2- يشير علم اللغة النفسي إلى أن الطفل يمر بمراحل طبيعية في نموه اللغوي، فعند بلوغ السنة الأولى نلاحظ أن الطفل يبدأ بنطق بعض الأصوات مثل (بابا، وماما) وأحيانا يستطيع إصدار بعض الإيماءات أو الأصوات مقلدا فيها البيئة المحيطة حوله، كتحريك الرأس سواء للدلالة على الرفض أو القبول. وعند عمر السنتين نلاحظ أن الطفل بدأ يغير نبرة صوته تفاعلا مع محيطه، أو أن يقلد بعض أصوات الحيوانات، وتقترب الأصوات التي يحدثها من مرحلة الكلام، وأحيانا أخرى ينطق بعض الأصوات التي تحمل دلالة مثل: (اه، أوه) ويستطيع الأطفال الذين أتموا السنتين أن يتفاعلوا مع الأوامر التي يسمعونها، ويبدأ الطفل بتكوين جمل بسيطة، أو يكررها.

3- إن فرضية (التعلم بالاكتساب) من أكثر النظريات انتشارا بين أهل اللغة ومدربيها، فهناك نظامان أساسيان: الاكتساب، والتعلم، فالاكتساب هو نتاج ما وراء الوعي، ويشبه إلى حد كبير عملية اكتساب اللغة الأم، الذي يركز فيه الناطقون على التواصل لا على شكل النطق، أما التعلم - فكما ذكر- هو نتيجة التعلم الرسمي، وغالبا ما يرتبط بالإدراك وقدرة الشخص على الربط والتحليل.

4- وتذهب هذه الورقة البحثية مع الرأي الذي يميل إلى اكتساب اللغة في عمر مبكرة (الطفولة المبكرة) والسبب في ذلك أن الطفل الصغير يستطيع أن يتلقى نظامين لغويين وأن يتعلمها غالبا دون أية مشاكل، فالبيئة المحيطة تلعب دورا هاما في ذلك، أيضا تمتاز قدرته العقلية على الحفظ بالقوة؛ بسبب قلة المسؤوليات والمشاكل، أيضا يكون مستوى الإدراك لديه أقل مما يقلل من نسبة التحليل والربط بين اللغة الأولى واللغة الثانية، فيكون الاكتساب لديه بصورة عفوية تلقائية. وعلى سبيل المثال: لو نظرنا نظرة عامة (انطباعية، وليست علمية إحصائية) على رياض الأطفال، سنجد أن كثيرا منها مهتم بتعليم اللغة الإنجليزية -ولا سيما في عالمنا العربي- ونجد أن كثيرا من الأطفال يمتلكون اللغتين العربية (الأم) والإنجليزية (اللغة الثانية) بطلاقة.

لكن الأمر في تعلم اللغة الثانية يختلف، فيبدو أن سن البلوغ هو الأفضل للتعلم، بشرط ألا يكون مثقلا بالمسؤوليات والمهام، بعبارة أخرى أن يكون إنسانا طبيعيا، لا يمر بظروف غير اعتيادية، والسبب في ذلك أن القدرة الإدراكية تكون جيدة، بالتالي يستطيع المتعلم أن يربط وأن يحلل أو يقارن بين نظام اللغة الثانية واللغة الأم، فنجد كثيرا من الشباب الأجنبي في عالمنا العربي لتعلم اللغة العربية، ويمتلكون دافعا قويا - كما ذُكر أثناء الورقة البحثية – فنرى كثيرا منهم يتخرج بعد سنة أو سنتين وقد تطورت لغته بشكل كبير.

المصادر والمراجع

أولاً- المراجع بالعربية:

- الجاحظ، عمرو بن بحر: كتاب الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار القلم، ج5.
- حريز، سيد حامد: تطوير اللغة العربية، الخرطوم: اتحاد المعلمين العرب.
- عبده، داود، دراسات في علم اللغة النفسي، الكويت، جامعة الكويت.
- عيسى، محمد رفقي (2015)، سيكولوجية اللغة والتنمية اللغوية لطفل الرياض، الكويت، دار القلم.
- غنيم، سيد (1971)، اللغة والفكر عند الطفل، مجلة عالم الفكر، مجلد: 2عدد1.

- المسدي، عبد السلام (1984)، دور التعريب في تطوير اللغة العربية، تونس، الدار التونسية للنشر.
- نوري، جعفر، الفكر طبيعته وتطوره، طرابلس: الجامعة الليبية.

ثانياً- المراجع الأجنبية:

- Bellos, D. (2016)is that the fish in your ear? Translation and the meaning of every thing. Faber and faber.
- Bloom, b. Stability and change in human characteristics, New York: John wielym.
- Cook,V. (2010) second language learning and language Teaching (4th edition)Hodder education.
- Diller, K. Teaching Language controverse, Rowley: ewbury House.
- Ellis,R. second language Acquisition. Oxford university press.
- Lenneberg, Eric, Biological Foundation of language:New York: John Wiely and sins.
- Lightbown, p. And N. spada (2013)how language are learned (4th edition)oxford university prss.
- Macnamara, J The Bilingual performance, Journal of social Issues, 1969.
- Mitchell, R. f. Myles and E. (2017)Second Language Learning Theories (3th edition)Routledge.
- Nsher, Learning Another Language through Action, losGatos.
- Ovando, carlos and Virginia collier, Bilingual and EST classrooms. New York: Mcgraaw- Hill Company.
- Robert Hall JR. Pidgin and creole language,Ithoca cornell university.
- Yule, George. (2014) The study of language, Cambridge university press.